الفصل الأول

الدوافع الفطرية

إن الدوافع الفطرية هى التى خُلِق الإنسان عليها بطبعه ، فهى صفات موروثة ، وتنقسم إلى قسمين وهما :

● الدوافع الفطرية العضوية :

وهى التى ترجع إلى أساس فى طبيعة التكوين العضوى للإنسان ولعل أهمها :

(أ) الدافع الجنسى :

وهو من الدوافع الفطرية العضوية التى يجدها كل إنسان سَوِّى فى تكوينه ، وهو ضرورى لبقاء النوع ، وهو مما يعمل على تكوين الأسرة التى تُعتبر الخلية الأولى فى المجتمع (١) .

وإن قانون الزوجية من السُنَّن التى تسير عليها جميع المخلوقات .

قال تعالى : ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

فنظام الزوجية للمخلوقات إجبارى فى التوافق والتوازن والانسجام والثبات ،

---

(١) د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ١٤٨

د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس ص ٣٤

د . نبيل محمد السمالوطى : الإسلام وقضايا علم النفس الحديث (مرجع سابق) ص ٨٧

(٢) الذاريات : ٤٩ (٣) يس : ٣٦

لأنها ليس لها صفة الإرادة والاختيار ، عدا الإنسان والجان - فيما نعلمه - اللّذين وقع عليهما التكليف الشرعى ، فهما يتصفان بالإرادة والاختيار والمسئولية .

قال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ، وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً ﴾ (٣) .

وإن الإسلام ينظر إلى الزواج على أنه رباط قوى وتكملة للنسق المادى والمعنوى لكل من الزوجين (٤) - نعمة من الله تعالى على عباده - يعقبها النسل المُحبَّب للنفس .

قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِه أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنَ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٥) .

فإن آدم عليه السلام لم يُغنه وجوده فى الجنة عن العلاقة الزوجية (٦) .

قال تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٧) .

كما أن أصحاب الجنة فى الآخرة لم يُغنهم وجودهم فيها عن العلاقة الزوجية .

---

(١) الأحزاب : ٧٢ (٢) الذاريات : ٥٦ (٣) الجن : ١ - ٢

(٤) البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ١٦٩

(٥) الروم : ٢١

(٦) البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ١٧٠

(٧) البقرة : ٣٥

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ * كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴾ (١) .

فإن الإسلام يقر بهذا الدافع ، ويأمر برعايته وتوجيهه واستثماره ، فلا ينكره ، ولا يحقره ، ولكن يعمل على وضع القواعد المشروعة والمبادىء الأخلاقية الثابتة التى تعمل على إنجاحه ، وتضمن استمراريته المقرونة بالمودّة ، والرحمة ، والألفة ، والمعاشرة بالمعروف ، لبناء الأسرة الصالحة ، وفق الغاية المطلوبة من الفرد فى إصلاح ذاته وأسرته ومجتمعه ، والذى يحقق نقاء النسل ، وعدم اختلاطه (٢) .

وإن قوة العلاقة الزوجية ، والأمن والطمأنينة التى تتمتع بها ، لها دور كبير فى رعاية وتربية الأفراد ، ليصبح كل فرد عضواً صالحاً فى المجتمع ، وبهذا يتحمّل كل فرد قطاعاً من المجتمع ، يرعاه ولا يَدّخر وسعاً فى أن ينهض به ، فتتضافر الجهود الأسرية والاجتماعية فى خدمة المجتمع (٣) .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ، وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُواْ ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٥) .

---

(١) الدخان : ٥١ - ٥٤

(٢) د . أحمد محمد العسال : الإسلام وبناء المجتمع (مرجع سابق) ص ١٤٧ - ١٥١

د . محمود بن الشريف : الإسلام والحياة الجنسية ، دار ومكتبة الهلال ، ببيروت ، ط ١ ، ١٩٨٣ م ، ص ٤٩

محمد قطب : فى النفس والمجتمع . دار الشروق ببيروت ، ط ٥ ، ١٤٠٠ هـ ، ص ٦٧

(٣) محمد متولى الشعراوى : الإسلام حداثة وحضارة (مرجع سابق) ص ١٤٥ - ١٤٦

(٤) النساء : ١ (٥) الحجرات : ١٣

عن عبد الله بن عمر قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ، الإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله ، وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ، ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ، ومسئول عن رعيته » (١) .

وإن الرسول ﷺ لإحساسه المرهف وأخلاقه العالية ليأنس بهذه السُنَّة الإلهية - العلاقة الزوجية - حتى فى جهاده (٢) .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه (٣) .

وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت : كان النبى ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع بين نسائه ، فأيتهن يخرج سهمها خرج بها النبى ﷺ ، فأقرع بيننا فى غزوة غزاها فخرج فيها سهمى ، فخرجتُ مع النبى ﷺ بعدما أُنزل الحجاب(٤).

ولقد حرَّم الله تعالى إشباع هذا الدافع وفق مبدأ اللذة الفوضوية الإباحية ، التى تقضى على قيمة الإنسان الحقيقى ، وتجعل بناء الأسرة هشاً ، وبناء المجتمع أهش منها ، وما تؤدى إليه من اختلاط الأنساب وتعكر النسل ، وقد يصل الأمر إلى انعدام الأسرة ، لفقدان القيمة الحقيقية للحياة الزوجية ، المقرونة بالمحبة والمودَّة والألفة ، التى تُرسى بناء الأسرة ، فالمنافرة بين الطيب والخبيث ثابتة قدراً وشرعاً ، ويترتب على هذه الإباحية أمراض اجتماعية كثيرة ومحزنة (٥) .

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الجمعة ، باب : الجمعة فى القرى والمدن ، جـ ١ ص ٢١٥

(٢) البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ١٧١

(٣) رواه البخارى فى كتاب الهبة ، باب : هبة المرأة لغير زوجها ، جـ ٣ ص ١٣٥

(٤) رواه البخارى فى كتاب الجهاد ، باب : حمل الرجل امراته فى الغزو دون بعض نسائه ، جـ ٣ ص ٢٢١

(٥) أحمد محمد العسال : الإسلام وبناء المجتمع (مرجع سابق) ص ١٦٠ - ١٦٣
ابن القيم : إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٨١ - ٨٢
محمد قطب : الإنسان بين المادية والإسلام . دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٨٨ هـ ، ص ٢٣٠ - ٢٣٢

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وأَنْ تُشْرِكُواْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

وعن أبى أمامة رضى الله عنه « أن فتى شاباً أتى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ، إئذن لى بالزنا ، فأقبل القوم عليه فزجروه ، وقالوا مَهْ ، فقال : أدن ؛ فدنا منه قريباً ، قال : إجلس ، فجلس . قال ﷺ : أتحبه لأمك ؟ قال : لا والله ، جعلنى الله فداءك ، قال : ولا الناس يحبونه لأمهاتهم ، قال ﷺ : أفتحبه لابنتك ؟ قال : لا والله يا رسول الله ، جعلنى الله فداءك ، قال : ولا الناس يحبونه لبناتهم ، قال ﷺ : أفتحبه لأختك ؟ قال : لا والله ، جعلنى الله فداءك ، قال : ولا الناس يحبونه لأخواتهم ، قال ﷺ : أفتحبه لعمتك ؟ قال : لا والله ، جعلنى الله فداءك ، قال : ولا الناس يحبونه لعمّاتهم ، قال ﷺ : أفتحبه لخالتك ؟ قال : لا والله ، جعلنى الله فداءك ، فقال : ولا الناس يحبونه لخالاتهم ، قال : فوضع يده ﷺ عليه ثم قال : اللّهم اغفر ذنبه ، وطَهِّر قلبه ، وأحصن فرجه ، قال : فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شىء » (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ... ﴾ (٣) .

ولقد جاء التوجيه الإسلامى للفرد بالعفاف والطهارة من الدنس ، ووجوب الزواج الشرعى عليه فى حالة الخوف على النفس من الوقوع فى الفحشاء مع مقدرته عليه ، أما إذا لم يخف على نفسه من ذلك مع مقدرته عليه فإنه يُسَنّ له ذلك (٤) ، أما مَنْ لم يقدر عليه فليصبر حتى يُغنيه الله من رزقه ،

---

(١) الأعراف : ٣٣

(٢) رواه الإمام أحمد جـ ٥ ص ٢٥٦ (٣) النور : ٣٣

(٤) أبو بكر جابر الجزائرى : منهاج المسلم - دار الفكر ، ط ٨ ، ١٣٩٦ هـ ، ص ٣٧٢

وإن كان يجد لهذا الصبر مايقابله ، من الإلحاح والضغط الذى يُشعره بالضعف فإن عليه بالصوم .

عن علقمة قال : بينما أنا أمشى مع عبد الله رضى الله عنه فقال : كنا مع النبى ﷺ فقال : « مَن استطاع منكم الباءة [1] فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء [2] » [3] .

وإن للصوم فى هذه الحالة فوائد كبيرة على مستوى الفرد والمجتمع ، ففيه الأجر ، والانتصار على هذا الدافع والعواطف المصاحبة له ، كما أنه يعمل على نقل الفرد من الحالة التى يشعر فيها بالحرمان ، والذى قد يبنى لديه خبرات انفعالية سلبية كالحقد والحسد والاعتداء ... إلى الحالة التى يطمئن فيها بالعبادة ، والمراقبة لله تعالى ، والتى تمنحه الرضا والسعادة النفسية والأمل والثواب ... وهذا يُعد علاجاً نفسياً سامياً .

كما أن الصيام يعمل على إضعاف هذا الدافع ، لأن دافع الجوع أقوى من الدافع الجنسى [4] ، والصيانة للفرد فيها صيانة للمجتمع من أمراض الانحراف كما سبق .

وبما أن الإسلام دين الفعاليات الحياتية للإنسان الاجتماعية والاقتصادية ... فإنه يمنعه من أن يقوم بعملية الرهبنة والتبتل ، فهما ليسا مما يرضاهما الله ورسوله .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه يقول : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ ، يسألون عن عبادة النبى ﷺ ، فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها فقالوا :

---

(١) الباءة : القدرة على الجماع ومؤنته .

(٢) الوجاء : رضّ الخصيتين ، والمراد به دفع الشهوة وشرها .

(٣) رواه البخارى فى كتاب الصوم ، باب : الصوم لمن خاف على نفسه العزوبة ، جـ ٢ ص ٢٢٨

(٤) النووى : صحيح مسلم بشرح النووى (مرجع سابق) جـ ٩ ص ١٧٣

د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ١٦٩

وأين نحن من النبى ﷺ ، قد غُفِرَ له ما تَقدَّم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم : أما أنا فإنى أُصلّى اللّيل أبداً ، وقال آخر ، أنا أصوم الدهر ولا أُفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً ، فجاء رسول اللّه ﷺ فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما اللّه إنى لأخشاكم للّه ، وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأُفطر ، وأُصلّى وأرقد وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى »[1].

وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ، قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [2] .

وكما أن الإسلام عمل على بناء الفرد للتحكم والتوجيه لهذا الدافع ، فقد عمد إلى سد أبواب ودواعى الإثارة الجنسية ، فأمر بصيانة الجوارح كغض البصر ، وتطهير السمع .. وأمر بالتستر الشرعى ، وحرَّم التطيب والتزين للمرأة فى خروجها من بيتها ، ومنع الاختلاط غير الشرعى [3] .

وذلك لإعانة الفرد على صيانة نفسه من الانزلاق والوقوع فى الفحشاء .

قال تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ، ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ، وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ، وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِى إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِى أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ

---

(١) رواه البخارى فى كتاب النكاح ، باب : الترغيب فى النكاح ، جـ ٦ ص ١١٦

(٢) الأعراف : ٣٢

(٣) د . محمود بن الشريف : الإسلام والحياة الجنسية ، ص ٣٩ ، ٦٣ - ٦٨
سميع عاطف الزين : لمن الحكم (مرجع سابق) ص ١٠٦

التَّابعينَ غَيْرِ أُولِى الإِرْبَةِ منَ الرِّجَالِ أو الطِّفْلِ الَّذينَ لَم يَظْهَرُواْ عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ، وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ، وَتُوبُواْ إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال : « لا يَخلُونَ رجل بامرأة إلا مع ذى محرم ... » (٢) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : جاءت امرأة من الأنصار إلى النبى ﷺ فخلا بها ، فقال : « والله إنكن لأحب الناس إلىّ » (٣) .

(ب) دافع الأُمومة :

إن الدراسات العضوية الحديثة أثبتت أن هناك إفرازات هرمونية لهذا الميل ، وهو ميل الأم لابنها ورعايته ، وقد تم إجراء التجارب المعملية على الحيوانات ، والقردة ، كما تم إثارة العذراء به ، لتحس بعاطفة المحبة للطفل والعناية به ، مما يدل على أن هذا الدافع له ارتباط بجوانب عضوية ، بالإضافة إلى ما يمكن أن يكون من دوافع نفسية فطرية أو مكتسبة (٤) .

قال تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ منَ النِّسَاءِ وَالبَنِينَ وَالقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ منَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَالخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالحَرْثِ ، ذَلِكَ مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ (٥) .

وإن ورود لفظ « البنين » بين لفظ « النساء » ، وهو يمثل الدافع الجنسى - ولفظ « القناطير ... » ، وهو يمثل دافع حب التملك قد يكون إشارة إلى أن دافع حب الأبناء دافع فطرى .

---

(١) النور : ٣٠ - ٣١

(٢) رواه البخارى فى كتاب النكاح ، باب : لا يخلو رجل بامرأة إلا ذو محرم ، جـ ٦ ص ١٥٩

(٣) رواه البخارى فى كتاب النكاح ، باب : ما يجوز أن يخلو الرجل بالمرأة عند الناس ، جـ ٦ ص ١٥٩

(٤) د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ١٧٧ - ١٧٨

د . عبد المجيد عبد الرحيم : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ١٣٤

(٥) آل عمران : ١٤

ولذلك يجب على الوالدين أن يكون هذا الدافع للأبناء موجهاً ، لا إفراط ، ولا تفريط ، لتكون تربيتهم تربية صالحة ، وأن يحذرا التفريق بينهم فى المعاملة ، وأن يحرصا على المساواة والعدل بينهم ، ليتجنبا ما قد يجعل البعض منهم يحس بالحرمان من العطف والعناية والرعاية ، والذى قد يبنى لديهم خبرات انفعالية سلبية كالحقد والحسد على إخوانهم وأخواتهم الذين حصلوا على التفضيل [١] ، كما جاء فى قصة يوسف عليه السلام .

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ * إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَالٍ مُبِينٍ * اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ * قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لاَ تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ [٢] .

وعن النعمان بن بشير قال : تصدّق علىّ أبى ببعض ماله ، فقالت أمى - عمرة بنت رواحة - : لا أرضى حتى تُشهد رسول الله ﷺ ، فانطلق أبى إلى النبى ﷺ ليُشهده على صدقتى ، فقال له رسول الله ﷺ : « أفعلتَ هذا بولدك كلهم » ؟ قال : لا ، قال : « اتقوا الله ، واعدلوا فى أولادكم » ، فرجع أبى فرد تلك الصدقة [٣] .

وعن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ قال : « ألك بنون سواه »؟ قال : نعم ، قال : « فكلهم أعطيتَ مثل هذا »؟ قال : لا ، قال : « فلا أشهد على جور » [٤] .

---

(١) الفخر الرازى : التفسير الكبير (مرجع سابق) جـ ١٨ ص ٩٥
النووى : صحيح مسلم بشرح النووى (مرجع سابق) جـ ١١ ص ٦٦
محمد متولى الشعراوى : الإسلام حضارة وحداثة (مرجع سابق) ص ١٣٥ - ١٣٦
د . عبد المجيد عبد الرحيم : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ٦٧

(٢) يوسف : ٧ - ١٠

(٣) رواه مسلم فى كتاب الهبات ، حديث ١٣ ، جـ ٣ ص ١٢٤٢

(٤) رواه مسلم فى كتاب الهبات ، حديث ١٥ ، جـ ٣ ص ١٢٤٣

وإن ذلك إذا لم يكن هنالك ضرورة للتفريق [١] كالمرض والفقر ... وإلا فينبغى إيضاح هذه الضرورة والمبررات للإخوان والأخوات ، حتى تطيب أنفسهم بها .

كما أن هناك دوافع فطرية عضوية أخرى كالتنفس للهواء الطلق ، والجوع ، والعطش ، والحرارة ...

٢ - الدوافع الفطرية النفسية :

لقد ذهب بعض علماء النفس إلى أن الدوافع النفسية ، دوافع مكتسبة من البيئة [٢] ، ولكن اطلاع العلماء على بعض الحيوانات والطيور والحشرات ، أثبتت أن هناك دوافع لا يمكن أن تكون مكتسبة .

« فهناك نوع من الزنابير عندما توشك أُنثاه على وضع البيض ، فإنها تحفر حفرة فى الأرض ، ثم تذهب لكى تصطاد نوعاً من العناكب ، وبعد أن تصطاده تُوخزه وخزة خفيفة بحيث لا يموت فى الحال ، ثم تحمله إلى حفرتها حيث يوجد بيضها ، فإذا ما خرجت صغارها وجدت أمامها العناكب طعاماً شهياً ، والعجيب فى هذا الحيوان أن الأُم تهجر بيضها بعد وضعه ، وإعداد الطعام لأفراخها الصغار ، ولا تراها بعد ذلك طوال حياتها .

هذه الأفعال وأمثالها أفعال فطرية موروثة ، لم يكتسبها الحيوان عن طريق الخبرة ، أو التعلم ، أو التقليد والمحاكاة ، فالزنابير لم يسبق لها أن رأت أُمهاتها تقوم بهذا العمل »[٣] .

---

(١) أحمد بن على بن حجر : فتح البارى ، شرح صحيح البخارى ، رَقَّمَ كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقى ، دار المعارف بيروت ، جـ ١ ص ٢١٤ - ٢١٥

(٢) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٣٧

(٣) د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ١١٤

انظر : شوقى أبو خليل : غريزة أم تقدير إلهى ، دار الفكر بدمشق ، ط ١ ، ١٣٩٥ هـ ، ص ١١٤

وكذلك الطيور الصغيرة التى تتربى فى أعشاش صناعية إذا ما شعرت بقرب موعد وضع البيض ، بدأت فى بناء أعشاشها الطبيعية دون سابق تعلم أو تدريب [١] .

ولقد جاءت الإشارة فى القرآن الكريم إلى ثلاثة دوافع نفسية ، وهى : دافع التدين ، ودافع الخلود ، ودافع التملك ، وقد يدخل تحتها بعض الدوافع النفسية مما ذكره علماء النفس كدوافع مشتقة أو مركبة .

وفيما يلى شىء من التفصيل لذلك :

● دافع التدين :

إنه دافع نفسى يجده الإنسان فى أعماق الذات ، يجد فى رعايته الأمن ، والطمأنينة ، واليقين ، والاتزان .

قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً ، فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [٢] .

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من مولود إلا يُولد على الفطرة ، فأبواه يُهَوِّدانه ، وَيُنَصِّرانه كما تنتجون البهيمة ، هل تجدون فيها من جدعاء ؟ حتى تكونوا أنتم تجدعونها ، قالوا : يا رسول الله ؛ أفرأيتَ من يموت وهو صغير ؟ ، قال : « الله أعلم بما كانوا عاملين » [٣] .

فإن الإنسان يتمتع بقدرات عقلية ، يميز بها بين الخير والشر ، والحسن والقبيح ، وتتيح له فرصة التأمل والتفكير فى الكون والنفس ، الذى يرشده إلى ما يطمئن إليه .

---

(١) محمد مظهر سعيد : علم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٢٠
د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ١١٤

(٢) الروم : ٣٠

(٣) رواه البخارى فى كتاب القدر ، باب : الله أعلم بما كانوا عاملين ، جـ ٧ ص ٢١١

فالعقل يدرك الترابط بين السُنَن والقوانين فى المخلوقات المتنوعة والمختلفة ، ويرجعها دائماً إلى علّة واحدة [١] .

قال تعالى : ﴿ قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّه ، قُلْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّه ، قُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ بِيَدِه مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْه إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّه ، قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ * بَلْ آتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [٢].

وكذلك التأمل والتفكير فى القرآن الكريم والسُنَّة النبوية ، يجد بهما الطمأنينة ، لموافقتهما العقل ، وما تدعو إليه الفطرة ، فالعقل أساس النقل ، والنقل الصحيح لا يخالف العقل الصريح [٣] .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِى تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[٤].

وقال تعالى : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ * إِنَّهُ عَلَى رَجْعِه لَقَادِرٌ ﴾ [٥] .

فالعقل قيم على الفطرة بالرعاية ، فتتلون بألوان مختلفة مضيئة ومظلمة[٦] .

---

(١) د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ٥٧ - ٥٩

د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس ، ص ١٢٤

د . عبد المجيد النجار : العقل والسلوك فى البنية الإسلامية (مرجع سابق) ص ٧٣ - ٨٨

(٢) المؤمنون : ٨٤ - ٩٠

(٣) د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٤٧ - ٤٨

(٤) البقرة : ١٦٤ (٥) الطارق : ٥ - ٨

(٦) عبد الكريم الخطيب : الدين (مرجع سابق) ص ٧.

فإذا لم يكن ناضجاً ، أو لم يكن ثابتاً فى الأساس ، لعوامل ذاتية أو اجتماعية ، فإن هذا الدافع ليس له قوة داخلية تصونه من العوارض الانحرافية [١] .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يُهَوِّدانه ، أو يُنَصِّرانه ، أو يُمَجِّسانه ، كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها من جدعاء » ؟ [٢] .

ففى فطرته يجد دافع التدين ، وفى عقله يجد الأدلة والبراهين على توحيد الله تعالى ، وعظمته ، والافتقار إليه ... وحيث إن الإنسان ليس له القدرة على رسم التصورات العليا ، والمنهج الذى يُشبع هذا الدافع ، ويُرضى العقل ، لعدم إدراكه أسرار المسائل المتعلقة به من فعالياته الحياتية [٣] ، فضلاً عن التصورات العليا للوجود .

ولذلك لا بد أن يكون رسم هذه التصورات العليا والمنهج ممن يملك القدرة على إدراك أبعادها ، ولذلك فالوحى ضرورى لهداية الفطرة بنوره ، ووجوده ، ويكون للعقل القيادة والإرشاد لها [٤] .

قال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُواْ عَنْ كَثِيرٍ ، قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِى بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [٥] .

---

(١) عبد الكريم الخطيب : الدين (مرجع سابق) ص ٥٤

(٢) رواه البخارى فى كتاب الجنائز ، ما قيل فى أولاد المشركين ، جـ ٢ ص ١٠٤

(٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ١ ص ٢١٦٧

محمد باقر الصدر : اقتصادنا . دار الكتاب اللبنانى ببيروت ،١٤٠٣ هـ ، ص.٢٨ - ٢٨١

(٤) الفخر الرازى : التفسير الكبير (مرجع سابق) جـ ١١ ص ١١٢ - ١١٣

الحارث بن أسد المحاسبى : العقل ومفهوم القرآن (مرجع سابق) ص ٢١٨ - ٢١٩

عبد الكريم الخطيب : الدين (مرجع سابق) ص ٦٩

(٥) المائدة : ١٥ - ١٦

ولذلك فالدين ضرورى للإنسان ، ووجوب ربطه بالحياة ، ففطرة التدين ثابتة والدين ثابت ، وفيه يمكن إيجاد الدوافع الإيمانية التى تصون الفطرة من عوارض الانحراف ، فتتكون الدوافع النابعة من الداخل ، فتعمل الرقابة الذاتية للإنسان فى توجيه وتوظيف واستثمار قدراته وسلوكه التى تُشبع دافع التدين ، وتُرضى العقل ، وتخلق الانضباط الذاتى عن يقين واطمئنان [1] ، والذى له دور كبير فى بناء الخبرات الانفعالية الإيجابية كحب العلم ، وحب الخير ، ونبذ الشر . وتخلق عنده الشفافية والطُهر ... وتصونه من الخبرات الانفعالية السلبية كالحقد ، والحسد ، والحب السلبى ، والكُره السلبى ، ليصل الإنسان إلى أعلى درجات السمو رهى درجة الإحسان .

عن عمر بن الخطاب قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يُرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبى ﷺ فأسند ركبتيه على ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه ، قال : يا محمد ؛ أخبرنى عن الإسلام . فقال رسول الله ﷺ: « الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتُقيم الصلاة ، وتُؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً » ، قال : صدقت ، فعجبنا له يسأله ويُصَدِّقه ، قال : فأخبرنى عن الإيمان، قال : « أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقَدَرِ خيره وشره » ، قال : صدقت ، قال : فأخبرنى عن الإحسان ، قال : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ... » [2] .

وإن دافع الدين كأى دافع فطرى إنسانى ، ليس دافعاً أعمى ، كالدوافع عند

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ٢١ ص ٢٧٦٧

د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٢٨٨

سميع عاطف الزين : لمن الحكم (مرجع سابق) ص ١٠٩ - ١١٠

(٢) رواه مسلم فى كتاب الإيمان ، حديث ١ ، جـ ١ ص ٣٦ - ٣٨

الحيوانات والطيور [1] ... ولكنه دافع مصحوب بالوعى ، والشعور الوجدانى ، الذى يملك الإنسان معه الاستجابة له ، ويملك عدم الاستجابة له ، ولكن الاستجابة له يخلق التوازن بين العقل والفطرة ، وعدم الاستجابة له يفقده الاتزان بينهما ، ولذلك كان التكليف له ، لأنه يملك الإرادة والاختيار .

قال تعالى : ﴿ ونَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ بَلِ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ﴾ [4] .

فالفطرة الإنسانية قابلة للتغيير فى وجهتها ، لعوامل ذاتية وعوامل اجتماعية ، تخلق عنده دوافع نفسية مكتسبة ، لينطوى هذا الدافع فى اللاشعور ، لإهماله والغفلة عنه [5] .

قال تعالى : ﴿ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ نَسُواْ اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ، أُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ ﴾ [6] .

وقال تعالى : ﴿ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِى وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ، وَاتَّقُواْ اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [7] .

فدافع التدين عنصر مما فطر الإنسان عليه ، ولا تفارقه طول حياته ، وإن تأثر

---

(١) محمد متولى الشعراوى : الإسلام حضارة وحداثة (مرجع سابق) ص ١٧٥
محمد مظهر سعيد : علم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٢٠

(٢) الشمس : ٧ - ١٠ (٣) البلد : ٨ - ١٠ (٤) القيامة : ١٤ - ١٥

(٥) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٤٧

(٦) الحشر : ١٩ (٧) المائدة : ٧

بتلك العوامل ، لأن هذا الدافع المخبوء يبرز إلى الظهور [١] . فى عدة أوجه :

١ - الوقوع فى الشدة والمحنة التى تتطلب النجدة والخلاص [٢] .

قال تعالى : ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِى إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً ، حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الَّذِى آمَنَتْ بِهِ بَنُواْ إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * ءَالآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [٣] .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِى الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [٤] .

٢ - التأمل والتفكير الصحيح المجرَّد من المركبات الانفعالية السلبية فى الكون والحياة والنفس ، وفى القرآن والسُّنَّة الصحيحة ، والذى يقرع لدى الإنسان أبواب الهداية كما سبق .

قال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الآفَاقِ وَفِى أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ، أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [٥] .

٣ - الوقوع فى بعض المعاصى التى تنقص من إيمانه ، فيعمل هذا الدافع على تصحيح الوضع عن طريق النفس اللوَّامة [٦] .

---

(١) البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ١٣٥ - ١٣٦
عبد الكريم الخطيب : الدين (مرجع سابق) ص ٥٤ .
(٢) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) جـ ٤ ص ٣١٦٤
(٣) يونس : ٩٠ - ٩١ (٤) يونس : ٢٢ (٥) فصلت : ٥٣
(٦) الزمخشرى : الكشاف (مرجع سابق) جـ ٤ ص ١٩٠
الفرَّاء : معانى القرآن (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٢٠٨
ابن تيمية : الإيمان ، المكتب الإسلامى بدمشق ، ١٣٨١ هـ ، ص ٢٨٠

عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن ، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن » [١] .

وقال تعالى : ﴿ لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَةِ * وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [٣] .

وبما أن الفطرة ثابتة ، والدين ثابت ، وكلاهما من صنع الله تعالى ، وبينهما تناسب فى الطبيعة والاتجاه ، فإنه يجب أن يكون الدين هو القيم على الحياة ، لاستيعابه جميع الدوافع الذاتية ، والفعاليات الاجتماعية والاقتصادية ... لأنه هو القادر على التحكم فيها ، ووضعها فى إطارها العام الصحيح [٤] .

قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً ، فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [٥] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ ، وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ العِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ ، وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسَابِ ﴾ [٦] .

والدين الحنيف – عقيدة وشريعة – هو القوة التى تخلق الانضباط الذاتى ، للالتزام بالنظام والانسجام الاجتماعى ، وإيجاد أسباب الأمن والطمأنينة

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الحدود ، باب : لا يشرب الخمر ، جـ ٨ ص ١٣
(٢) القيامة : ١ – ٢ (٣) آل عمران : ١٣٥
(٤) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ٢١ ص ٢٧٦٧
د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٢٨٨
محمد باقر الصدر : اقتصادنا (مرجع سابق) ص ٢٧٨
(٥) الروم : ٣٠ (٦) آل عمران : ١٩

والاستقرار ، وهذا يخفف على الرقابة الخارجية - السلطة - أعباء كبيرة فى الأموال والرجال ، مما يجعلها تستثمرها فى نشاطات اجتماعية أخرى .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلاَ يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا ، وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٢) .

« وإن كل الشعوب الإنسانية تتفق على فطرية التدين ، وإن اختلفت فى أسلوب إشباعها للاختلاف فى تصورها للإله ، وطريقة عبادته » (٣) ، لعجزهم عن رسم التصورات العليا ، والمنهج الذى يجب أن تسير عليه .

ولذلك فإن أى دين من الأديان - غير الدين الإسلامى الحنيف - لا يستطيع أن يكون قيماً على الحياة لعدم استيعابه الفطرة الإنسانية من جهة ، وفعاليتها الذاتية والاجتماعية من جهة أخرى (٤) ، فينفرط عقد التعادلية عند الإنسان ، فتجعله يعيش حياة الحيرة والشك والقلق ... كما تضعف الرقابة الذاتية ، لتتحمله الرقابة الخارجية ، التى ليس لها إلا ما أدركته من الظاهر ، وهو ما لا يكفى لضبط السلوك وتوجيهه (٥) ، فتكثر عوامل الضغط والكبت الخارجية على الفرد ، فيكون لها آثار سلبية على الصحة النفسية كما تخلق خبرات انفعالية سلبية (٦) .

---

(١) الحجرات : ١٣ (٢) غافر : ٤٠

(٣) د . محمد عبد الله دراز: الدين . دار القلم ، الكويت ، ط ٣ ، ١٣٩٤هـ ، ص ٨٠ - ٨٣ ص ٨٧

د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٤٥ - ٤٦

سميع عاطف الزين : عن الحكم (مرجع سابق) ص ١٠٨ - ١٠٩

(٤) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ٢١ ص ٢٧٦٧

(٥) د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٢٠٧

(٦) كلفن هال : اصول علم النفس الفرويدى (مرجع سابق) ص ١٠٤ - ١٠٥

قال تعالى : ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ، وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً ، كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ (١) .

وعن أبى موسى عن النبى ﷺ قال : « مثل ما بعثنى الله به من الهُدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً ، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعُشب الكثير ، وكانت منها أجادب (٢) أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصاب منها طائفة أُخرى إنما هى قيعان لا تُمسك ماءً ، ولا تُنبت كلأً ، فذلك مثل من فقه فى دين الله ، ونفعه ما بعثنى الله به ، فَعَلِمَ وَعَلَّم ، ومثل من يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى أُرسلت به » (٣) .

وبذلك يتضح أن الالتقاء بين الفطرة والعقل يخلق اختلافاً فى أُسلوب استثمار وتوجيه وتوظيف السلوك الإنسانى حسب الإرادة والاختيار ، لما منح الإنسان من صفات هى قبس من صفاته تعالى ، وأن عليه مسئولية عمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

قال تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِّيُرَوْاْ أَعْمَالَهُمْ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ﴾ (٤) .

وإن الدين الإسلامى هو دين الفعاليات الإنسانية ، وهو الإطار العام الذى يمكن له أن يكون قيماً عليها ، وإن كل عمل عباده ، ولا يُسمح فى تغليب العمل بالعبادات المحضة كالصلاة والصوم ... على حساب الفعاليات الأخرى للإنسان (٥) ، فالله تعالى أراد منه عمارة الأرض ، والاستفادة من سُننها

---

(١) الأعراف : ٥٨

(٢) أجادب : قاحلة يابسة ، ضد الخصبة

(٣) رواه البخارى فى كتاب العلم ، باب : فضل من عَلِم وعَلَّم ، جـ ١ ص ٢٨

(٤) الزلزلة : ٦ - ٨

(٥) حسن صعب : الإسلام والإنسان (مرجع سابق) ص ٩٥

وقوانينها بالتغيير والتبديل ، لاستثمار خصائصها وإن لم يقدر على ذلك عمد إلى مجاراتها [١] .

قال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ، قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً ، قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ، هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ، إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ [٣] .

وإن هذا لشرف عظيم ، حظى به الإنسان ، لم يكن لغيره من المخلوقات ابتلاءً وامتحاناً ، لأداء وظيفته والوفاء بحقها ...

قال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ [٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ [٥] .

* * *

● دافع الخلود :

إنه من الدوافع النفسية الفطرية ، التى يجدها كل إنسان فى أعماق ذاته ، فهو اتجاه طبيعى غير منقطع ، والأمل يسير به دائماً إلى الأمام فى طلب المزيد من الحياة [٦] .

---

(١) البهى الخولى : الثروة فى ظل الإسلام . دار الاعتصام ، ط ٣ ، ١٣٩٨هـ ، ص ٦٢ - ٦٣

(٢) الأعراف : ٣٢ (٣) هود : ٦١

(٤) الأحزاب : ٧٢ (٥) الإسراء : ٧٠

(٦) البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ١٧٣ - ١٧٤

ولقد استغل إبليس - لعنه الله - هذا الدافع القوى فى الإيقاع بآدم وزوجه فى المعصية ، عن طريق الإيحاء لهما بأن ما أمرا بتركه هو ما يمنحهما الخلود - حب البقاء - فاستجابا لهذا النداء والإيحاء [١] .

قال تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الخَالِدِينَ ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَاآدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَ يَبْلَى ﴾ [٣] .

وإن الإنسان يتعلم الكثير مما يحفظ ذاته كدافع المقاتلة والهروب والاستغاثة [٤] .

وإن الإيمان بالله تعالى وامتثال تشريعه هو الطاقة التى تمنح الخلود الحقيقى ، خلوداً مؤقتاً فى الحياة الدنيوية مليئاً بالسعادة والطمأنينة والرضا والأمن ... وخلوداً دائماً فى الحياة الأخروية ، فيها النعيم المقيم ، فالموت الدنيوى ما هو إلا عملية انتقال من الدار الفانية إلى الدار الباقية [٥] .

قال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ، وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ، ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ ﴾ [٦] .

وإن هذا الإيمان له أثر كبير فى عملية بناء علاقة الإنسان ومفهومه وتفكيره

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ٣ ص ١٢٦٨

(٢) الأعراف : ٢٠ (٣) طه : ١٢٠

(٤) البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ١٧٣

(٥) د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ١٠٧ ، ٢٧٧
محمد المبارك : نظام الإسلام (مرجع سابق) ص ١٥٨ - ١٥٩

(٦) التوبة : ٧٢

للوجود كله ، فالغاية وطريقها واضح عند المؤمن ، فالمؤمن دائماً له الربح ، وإن لم يكن ربحاً دنيوياً مادياً ، فهو ربح يُضيفه فى رصيده الأخروى ، بل إن الخسارة المادية فى الحياة الدنيوية فى سبيل مصلحة المجتمع تُعَدُ ربحاً فى رصيد الآخرة (١) .

قال تعالى : ﴿ لاَ خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِنْ نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُوراً * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً ﴾ (٣) .

وبذلك تترابط المصالح الذاتية والاجتماعية بالدوافع الذاتية التى تضمن لها حياة أسمى وأرقى .

وإن الإيمان بالآخرة ركن من أركان الإيمان ، والذى به يعرف الإنسان مصيره ، ومآله ، وهو ما يمنحه دافعاً أقوى من الدوافع الخارجية فى الحياة الدنيوية كالثواب والعقاب .

عن عمر بن الخطاب قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم ، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يُرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبى ﷺ فأسند ركبته على ركبته ، ووضع كفيه على فخذيه ، قال : يامحمد : أخبرنى عن الإسلام . فقال رسول الله ﷺ : « الإسلام أن تشهد أن لا إلَهَ إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتُقيم الصلاة ، وتُؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعتَ إليه سبيلاً » قال : صدقت ، فعجبنا له يسأله ويُصدِّقه ، قال : فأخبرنى عن الإيمان .

---

(١) الزمخشرى : الكشاف (مرجع سابق) جـ ٤ ص ١٩٦ - ١٩٧
محمد القاسمى : الإسلام كما فهمت (مرجع سابق) ص ٢٥٥ - ٢٥٦

(٢) النساء : ١١٤ (٣) الإنسان : ٨ - ١٠

قال : « أن تؤمن باللّه ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتُؤمن بالقَدَرِ خيره وشره ... » [1] .

فالمؤمن ينظر إلى الموت باطمئنان ، لأنه انتقال من دار فانية إلى دار باقية ، فلا يُرهبه ولا يُخيفه هذا الانتقال ، إن كان محسناً ، مطمئناً إلى رحمة اللّه تعالى [2] .

قال تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِ ، قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ، إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ [4] .

وإن الإسلام لا يدعو الإنسان إلى الرهبنة ، وإهمال الحياة الدنيوية ، لأنه دين الفعاليات الحياتية ، الاجتماعية ، والاقتصادية ... ولكن يدعوه إلى أن ينظر إلى كل من الحياتين فى وقت واحد ، فله من الحياة الدنيوية منافعها وملذّاتها المشروعة ، بالعمل الجاد المخلص والمثمر ، ابتغاءً لمرضاة اللّه تعالى ، والذى يُحقّق للإنسان الخلود الأبدى [5] .

قال تعالى : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ ، وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الإيمان ، باب : سؤال جبريل للنبى ﷺ عن الايمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة ، جـ ١ ص ١٨

(٢) أبو السعود : تفسير أبى السعود (مرجع سابق) جـ ٩ ص ١٥٨ - ١٥٩
محمد المبارك : نظام الإسلام (مرجع سابق) ص ١٥٨

(٣) الزمر : ٩ (٤) الفجر ٢٧ - ٣٠

(٥) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، المطبعة التجارية الكبرى بمصر ، جـ ٣ ص ٣٩٩
محمد المبارك : نظام الإسلام (مرجع سابق) ص ١٥٨ - ١٥٩

منَ الدُّنْيَا ، وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ، وَلاَ تَبْغِ الفَسَادَ فِى الأَرْضِ ، إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ المُفْسِدِينَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢) .

وإن أعمال الكافرين الصالحة الدنيوية على العكس من أعمال المؤمنين ، فلا قيمة لها فى ميزان الآخرة (٣) .

قال تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ ، وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (٤) .

وهذا هو الدافع الذى يدفع المؤمن إلى الاستشهاد فى حياته الدنيوية ، لتحقيق مصالح المجتمع الإسلامى ، والإنسانى ، وأهداف الإسلام ، فهو يُضَحِّى فى ذاته من أجل الربح الذى سيحصل عليه بعد مماته فى دار الخُلد الحقيقى (٥) .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ منَ المُؤْمنينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ ، يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ، وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِى التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالقُرْآنِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ منَ اللَّهِ ، فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِى بَايَعْتُمْ بِهِ ، وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ ﴾ (٦) .

عن جابر بن عبد اللّه رضى اللّه عنهما قال : « قال رجل للنبى ﷺ يوم أُحد :

---

(١) القصص : ٧٧ (٢) البقرة : ٢٠١

(٣) الزمخشرى : الكشاف (مرجع سابق) جـ ٢ ص ٢٦٢

(٤) هود : ١٥ - ١٦

(٥) د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٢٧٧

(٦) التوبة : ١١١

أرأيتَ إن قُتلتُ فأين أنا ؟ قال : فى الجنة ، فألقى تمرات فى يده ، ثم قاتَل حتى قُتِل »[1] .

وإن هذا الدافع يُقوِّى العزيمة للجد فى العمل الصالح ، والإخلاص به ، ابتغاءً لمرضاة اللّه تعالى ، والذى يُحقِّق الربح العظيم فى ميزان الآخرة ، فتتآزر المصالح الذاتية والاجتماعية مع الدوافع الذاتية .

قال تعالى : ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَاهُ الجَزَاءَ الأَوْفَىٰ ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ سَابِقُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ، ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ ﴾[3] .

وليس هناك مذهب يعمل على إشباع هذا الدافع إلا فى الأديان السماوية ، مع تمامه وكماله فى الإسلام ، وانتقاصه فى الأديان الأخرى .

وإن من الضعف العقلى الإيمان بالخلود الزائف كالتماثيل والقبور الزائلة ، والأضعف منه الاعتقاد بالانتفاع منها .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَوَلَّوْاْ قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ القُبُورِ ﴾[4] .

وإن من لم يؤمن بيوم القيامة ، وأن الحياة للفناء ، وأن الخلود إنما هو خلود الحياة الدنيا ، له أثر كبير فى توجيه السلوك وتوظيفه ، لحرصه على حياته ومصالحه الذاتية ، ومنافعه وشهواته ورغباته فى شتَّى الوسائل ، فيُكثر الجزع

---

(١) رواه البخارى فى كتاب المغازى ، باب غزوة أحد ، جـ ٥ ص ٣٠ .

(٢) النجم : ٣٩ - ٤١ (٣) الحديد : ٢١ (٤) الممتحنة : ١٣

واليأس والقنوط والظلم ... لكثرة الصراع على المصالح الذاتية فى مجتمعات لا تحتكم إلا لرقابة خارجية غالباً [١] .

قال تعالى : ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّى لأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنْقَلَباً ﴾ [٢] .

وإن هذه النظرة لا تخلو عند كل فرد منهم من الحيرة والشك والقلق فى مآله ومصيره ، وإن سعادة الإنسان إنما هى فى داخله [٣] .

ولذلك نجد اليائسين والقانطين الذين يُقدمون على الانتحار .

قال تعالى : ﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَايْئَسُواْ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ ، إِنَّهُ لاَ يَايْئَسُ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُوْلَئِكَ يَئِسُواْ مِنْ رَّحْمَتِى وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [٥] .

وقال تعالى : ﴿ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ ﴾ [٦] .

ولقد استُغل هذا الدافع من الحاكم على المحكوم ، ومن القوى على الضعيف ، ومن طبقة على طبقة من المجتمع فى الإرهاب والسيطرة إشباعاً للدوافع الذاتية ، والذى له آثار سلبية على مسيرة الأمة .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ، وَفِى ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [٧] .

* * *

---

(١) سميح عاطف الزين : : لمن الحكم (مرجع سابق) ص ٩٧ - ٩٩
محمد القاسمى : الإسلام كما فهمت (مرجع سابق) ص ٢٥٦
(٢) الكهف : ٣٥ - ٣٦
(٣) د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٨٨ - ٨٩
(٤) يوسف : ٨٧ (٥) العنكبوت : ٢٣
(٦) الحجر : ٥٦ (٧) البقرة : ٤٩

• دافع التملك :

إنه من الدوافع النفسية الفطرية ، وهو الذى يدفع الإنسان إلى حب التملك ، والسيطرة ، والظهور ، وهو عام وشائع بين البشر [١] .

وإن هذا الدافع من العوامل التى استطاع به إبليس - لعنه الله - الإيقاع بآدم وزوجه فى المعصية .

قال تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الخَالِدِينَ ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَ يَبْلَىٰ ﴾ [٣] .

وإن هذا مما يُرَجِّح أن يكون هذا الدافع من الدوافع الفطرية ، لأن الإيحاء والإثارة لهذا الدافع من إبليس ، والاستجابة له ، يعنى أن لآدم وزوجه الاستعدادات والقدرات الكامنة فى الذات ، لأنهما ليس لهما بيئة اجتماعية يمكن أن يتعلما منها هذا الدافع ، كما أن لهذا الدافع أساساً وعلاقة بدوافع فطرية أخرى، كالجوع والعطش ، وحب الخلود ... فهو يحقق نوعاً من الأمن والطمأنينة والاستقرار فى عملية إشباعها .

وإن الله تعالى علَمَ آدم ﴿ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ [٤] والعلم يحتاج إلى القدرات والإمكانيات الكامنة فى الذات كحب الاطلاع وامتلاك وسائله ، ولعل أهمها حب التملك ، والسيطرة والظهور .

ولذلك فإن من الأولى أن يكون هذا الدافع فطرياً نفسياً جعل آدم يستجيب للوسوسة الشيطانية .

---

(١) د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ١٨٨ - ١٩١

(٢) الأعراف : ٢٠ (٣) طه : ١٢٠ (٤) البقرة : ٣١

ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الدافع فى عدة مواضع منه :

كقوله تعالى : ﴿ زُيِّنَ للنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ منَ النِّسَاءِ وَالبَنِينَ وَالقَنَاطِيرِ المُقَنطَرَةِ منَ الذَّهَبِ وَالفضَّةِ وَالخَيْلِ المُسَوَّمَةِ وَالأنْعَامِ وَالحَرْثِ ، ذَلِكَ مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ المآبِ ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ المَالُ وَالبَنُونَ زِينَةُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً ﴾ (٢) .

وإن الملك للّه تعالى ، وما يمتلكه الإنسان إنما هو امتلاك عُرفى ، لعوامل واعتبارات ذاتية واجتماعية ، فهو مستخلَف فيه ، ووكيل ونائب عن اللّه تعالى فيه ، فيجب أن يكون تحصيله واستثماره وفق أوامر مستخلفه ومَوكِله ، فيحس الإنسان بافتقاره إلى الغَنِّى سبحانه (٣) .

قال تعالى : ﴿ آمِنُواْ باللَّهِ وَرَسُولِه وَأَنْفِقُواْ ممَّا جَعَلَكُمْ مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ، فَالَّذِينَ آمَنُواْ مِنْكُمْ وَأَنْفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ ذَلُولاً فَامْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِنْ رِزْقِهِ ، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾(٦).

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ، وَاللَّهُ هُوَ الغَنِىُّ الحَمِيدُ ﴾ (٧) .

---

(١) آل عمران : ١٤ (٢) الكهف : ٤٦

(٣) البهى الخولى : الثروة فى ظل الإسلام (مرجع سابق) ص ٥٧ - ٥٨

أبو السعود : تفسير أبى السعودُ (مرجع سابق) جـ ٨ ص ٢٠٤

القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) جـ ٧ ص ٦٤٠٨

(٤) الحديد : ٧ (٥) الملك : ١٥

(٦) مريم : ٤٠ (٧) فاطر : ١٥

فإذا أدرك الإنسان ذلك وانغرس فى وجدانه الباطنى ، فإن له الهيمنة والتحكم والتوجيه لإرادته وسلوكه ، فتزكو النفس وتبدو له جميع مواهبه نعمة وإرادة من الله تعالى ، تستحق الحمد والشكر له تعالى ، وهذا الإحساس يمنحه صفات إيجابية متكاملة تخلق لديه نهجاً سوّياً (١) .

قال تعالى : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا أَتَوْاْ عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُواْ مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِى أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٢) .

وإن الإنسان يعيش فى صراع بين المتناقضات ، بين الخير والشر ، وبين الحسن والقبيح ، بين الهداية والضلال ، وبين الحلال والحرام ... (٣) .

وإن إشباع هذا الدافع يجب أن يكون عن طريق التوازن بين المصالح الذاتية والاجتماعية ، لتحقيق التعادلية العادلة بين المصلحتين(٤) .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ ، وَمَا

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ١٩ ص ٢٦٣٦ - ٢٦٣٧
البهى الخولى : الثروة فى ظل الإسلام (مرجع سابق) ص ٥٣

(٢) النمل : ١٧ - ١٩

(٣) د . عزت الطويل : دراسات نفسية وتأملات قرآنية ، مكتبة نشر الثقافة ، الإسكندرية ، ١٩٧٧ م ، ص ٨٧ - ٨٨

(٤) د . عزت الطويل : دراسات نفسية وتأملات قرآنية (مرجع سابق) ص ٨٨
محمد باقر الصدر: اقتصادنا (مرجع سابق) ص ٢٨١

(٥) الفرقان : ٦٧

تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأَنْفُسِكُمْ ، وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ، وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ ... كُلُواْ مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ، وَلاَ تُسْرِفُواْ ، إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ، فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٣) .

فإن إشباع هذا الدافع لا يمكن أن يكون عن طريق الفوضى ولكن عن طريق الانضباط الذاتى من جهة ، والانضباط الاجتماعى من جهة أخرى ، لإشباعه وفق مبادىء سامية تربط بين المصالح الذاتية والاجتماعية (٤) .

وإن البيئة الاجتماعية لها قيمة كبيرة ، لما تفرضه من مبادىء ، وقيَم ، وعادات ، تلعب دوراً أساسياً فى عملية التوجيه والتوظيف لهذا الدافع ، فيتعرض للتعديل والتغيير عن طريق الصعود به إلى الأعلى والأسمى ، أو عن طريق الهبوط والتنازل به إلى الحضيض .

قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٦) .

---

(١) البقرة : ٢٧٢ (٢) الأنعام : ١٤١ (٣) التوبة : ٦٠

(٤) د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٢٠٨
محمد باقر الصدر (مرجع سابق) ص ٢٧٢ - ٢٧٤

(٥) الليل : ٥ - ١٠ (٦) الحشر : ٩

وقال تعالى : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ ، وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١) .

فالإسلام له عقيدته وشريعته ، كما أن له نظرته للحياة والكون والإنسان التى يطمئن الإنسان إليها ، وإطاره العام الذين يبنى فى المجتمع العواطف والأحاسيس الوجدانية السامية ، فتتلاحم وتتضافر الجهود لتحقيق المصلحة الفردية والاجتماعية فى جو يسوده التكامل والتضامن ، والذى لا يمكن تحقيقه إلا بدوافع إيمانية قوية ، تصون الإنسان من الانحراف .. (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ، وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ، وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ، وَمَا تُنْفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ ﴾ (٤) .

عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلاَّ من ثلاثة : إلا من صدقة جارية ، أو علم يُنتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » (٥)

فإن أسلوب إشباع هذا الدافع أسلوب إيجابى ، وكذلك الاستثمار له ، فالكون مُسَخَّر للإنسان لخدمته ، بإطار تعبدى ، وهدف سام ، فحب التملك ليس هدفاً فى ذاته ، ولكنه وسيلة لهدف أسمى وأعظم وهو عمارة الأرض ، فتكون هادفة إلى الخير وراعية له ، وباذلة الجد فى العمل الصالح لامتلاك الخيرات

---

(١) البقرة : ٢٦٨

(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ٢١ ص ٢٧٦٧

د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٢٨٨

محمد باقر الصدر : اقتصادنا (مرجع سابق) ص ٢٧٢ - ٢٧٤

(٣) التوبة : ١٠٥ (٤) البقرة : ٢٧٢

(٥) رواه مسلم فى كتاب الوصية ، حديث ١٤ ، جـ ٣ ص ١٢٥٥

والطيبات ، واستثمار الأرض ومنافعها وسُننها وقوانينها فى التغيير والتبديل حتى تتلاءم معه ، وإن لم يقدر على ذلك عمد إلى مجاراتها [١] .

وإن الإسلام يمنح الإنسان مفهوماً سامياً للربح والخسارة ، يختلف عما يتعارف عليه فى حياته المادية الدنيوية ، فالخسارة المادية فيها فى سبيل الله ومصلحة المجتمع ربح عظيم فى رصيد الآخرة [٢] ، وكما أن له الأجر فى إنفاقه فإن له الأجر فى تحصيله .

قال تعالى : ﴿ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ، فَالَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [٣] .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ [٤] .

وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانتَشِرُواْ فِي الأَرْضِ وَابْتَغُواْ مِن فَضْلِ اللّهِ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [٥] .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تحاسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله القرآن ، فهو يتلوه آناء الليل والنهار ، يقول : لو أُوتيتُ مثل ما أُوتِىَ هذا لفعلتُ كما يفعل ، ورجل آتاه الله مالاً يُنفقه فى حقه ، فيقول : لو أُتيتُ مثل ما أُوتِىَ هذا لفعلتُ كما يفعل » [٦] .

فبالإسلام يكون المجتمع آمناً مطمئناً تسوده العدالة والمساواة والاستقرار ، وهذا المجتمع الفاضل له دور كبير فى التوجيه والتوظيف للسلوك ، وتخلق

---

(١) البهى الخولى : الثروة فى ظل الإسلام (مرجع سابق) ص ٦٢ - ٦٣ .

(٢) الزمخشرى : الكشاف (مرجع سابق) جـ ٤ ص ١٥٦ - ١٥٧

محمد القاسمى : الإسلام كما فهمت (مرجع سابق) ص ٢٥٥ - ٢٥٦

محمد باقر الصدر : اقتصادنا (مرجع سابق) ص ٢٥٦ - ٢٨٥

(٣) الحديد : ٧ (٤) الملك : ١٥ (٥) الجمعة : ١٠

(٦) رواه البخارى فى كتاب التمنى ، باب : تمنى القرآن والعلم ، جـ ٨ ص ١٢٩

الخبرات الانفعالية الإيجابية عند النشأ ، والتى تتمثل فى مجموعة من العواطف والأحاسيس الوجدانية القيِّمة كحُب الخير وكُره الشر ، وحُب الحسن وكُره القبيح ، وحُب الحلال وكُره الحرام ...

ولذلك فإن دافع التملك موجَّه فى وسائل تحصيله ، كما هو موجَّه فى وسائل إنفاقه ، وكذلك حب السيطرة والظهور والاطلاع ، فهى هادفة وموجَّهة ، وليست عمياء ، ولكن لكل شىء الأسلوب المناسب له .

ولذلك يُوجَّه حب السيطرة إلى السيطرة على نقاط الضعف فى الذات ، والأسرة ، والمجتمع ، للقضاء عليها ، لتحقيق الخير له ولمجتمعه ، فيحل العدل والإحسان والمعروف محل الجور والظلم والمنكر ...

وكذا السيطرة على الأرض ومنافعها بالتعديل والتغيير حتى تلائمه ، وإن لم يقدر عمد إلى مجاراتها كما سبق .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيْمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ، وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ لاَ خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ، وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ ، مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٣) .

---

(١) الحشر : ٩ (٢) النساء : ١١٤ (٣) آل عمران : ١١٠

وقال تعالى : ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً ، قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ، هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ ، إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ (١) .

وكذلك توجيه حُب الاطلاع إلى التحصيل ، والاستكشاف لتحقيق التفوق العلمى ، فيما ينفعه وينفع الناس ، وتجنيبه الانحراف به كالتجسس والغيبة والنميمة ... أو فيما يضره ويضر المجتمع .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اجْتَنِبُواْ كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ، وَلاَ تَجَسَّسُواْ وَلاَ يَغْتَبْ بَّعْضُكُمْ بَعْضاً ، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ ، وَاتَّقُواْ اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢) .

فإن البيئة الاجتماعية بمبادئها وقيمها وعاداتها لها أثر كبير فى عملية التوجيه والاستثمار لهذا الدافع .

وبما أن الفطرة ثابتة ، والدين ثابت ، وموافق للعقل ، فإن الإضطراب فى المجتمعات فى ذلك يجعل عقائدها غير مُطمَئنٌ إليها ، لأنها لا تعطى النظرة الصحيحة للحياة والكون والإنسان والمنهج الذى يحتذى به ، فتخلق الاضطراب والحيرة والشك فى كل ذلك .

وإن هذه النظرة لا يمكن أن تكون أداة لضبط السلوك الإنسانى ، وخاصة فى موضوع حُب التملك والسيطرة والظهور ، لأن مَن هذه نظرته مع عقيدته ومنهجه ، ومفهومه للحياة والكون ، لا يمكن أن تكون لديه رقابة داخلية على أسلوب التحصيل والاستثمار والتوجيه كالدوافع الإيمانية التى نجدها عند المؤمن ، فتتكوّن لديه خبرات انفعالية سلبية على مستوى الفرد والمجتمع ، والتى لها آثار سلبية فى بناء المجتمع .

فالدوافع الذاتية لأفراد هذه المجتمعات تدفعهم إلى تقديم مصالحهم الذاتية

---

(١) هود : ٦١ (٢) الحجرات : ١٢

على المصالح الاجتماعية ، لعوامل تحول دون استثمار الوعى العملى عند الإنسان استثماراً مخلصاً فى توفير المصالح الاجتماعية ورعايتها [١] .

قال تعالى : ﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَّهُمْ ، بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ ، سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [٣] .

وقال تعالى : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ ، وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [٤] .

فهذه المجتمعات تعتمد على الرقابة الخارجية بنسبة كبيرة والتى تكون على ما تُدرك من الظاهر ، مما لا يكفى فى توجيه السلوك [٥] .

لذلك تجد الأساليب غير المشروعة فى سبيل إشباع هذا الدافع إما لضعف فى الرقابة الخارجية ، والتى لا تستطيع أن تقضى عليها لمعرفة الأفراد بأساليب الاحتيال والمكر ، والطرق التى لا يمكن أن يصل إليها القانون ، أو أن تكون هذه الأساليب ممن يملك نفوذاً لا يمكن للرقابة الخارجية أن تصل إليه ... فيتغذى فى أفراد المجتمع السخط والحقد والحسد والكراهية ... فيزداد الضعف فى الانضباط الذاتى فى المجتمع .

ولذا يصل الأمر إلى أن يرى الإنسان أن الحياة كل شىء ، وأنه الأجدر والأولى فى كل خير [٦] .

---

(١) محمد باقر الصدر : اقتصادنا (مرجع سابق) ص ٢٨١ - ٢٨٢

(٢) الكهف : ٣٤ (٣) آل عمران : ١٨٠ (٤) البقرة : ٢٦٨

(٥) د. يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٢٠٧

(٦) البهى الخولى : الثروة فى ظل الإسلام (مرجع سابق) ص ٥٥

قال تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى علْمٍ عِنْدِى ، أَوَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً ، وَلاَ يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّى لأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنْقَلَباً ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعاً * إِلاَّ الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ (٣) .

* * *

(١) القصص : ٧٨ (٢) الكهف : ٣٥ - ٣٦ (٣) المعارج : ١٩ - ٢٣